

عاش كبيراً ومات كبيراً

في ظرف أسبوع خسرت اليمن كوكبة من أعلامها وزعماءها من رجال المال والأعمال والسياسة كانت لهم أدوارهم الكبيرة وإسهاماتهم المتميزة خلال مشوار حياتهم الحافل بالأحداث والمواقف التي جعلتهم يحتلون مكانتهم في الواقع وفي نفوس الناس بجداره لا توصف ، ليمثل رحيلهم عن هذه الدنيا الفانية خسارة كبيرة لا تعوض ، ومن هؤلاء الفقيد الكبير الشيخ عبدا الله بن حسين الأحمر رئيس مجلس النواب اليمني ورئيس حزب الإصلاح الذي توفاه الله بعد صراع شديد مع المرض رحمه الله واسكنه فسيح جناته ، ولا شك ان موته شكل خسارة كبيرة بكل المقاييس على الصعيد الوطني اليمني او العربي بحكم الأدوار الهامة والحاسمة التي تحملها منذ صباه في مسيرة الثورة والجمهورية ، ليصبح أحد الأعمدة الأساسية في صناعة القرار والحسم بما يخص القبل أو سياسات النظام وفرض حالة التوازن السياسي والاجتماعي قبل الوحدة وبعدها لما يتمتع به من وزن قبلي وما يتصف به من مزايا صواب الرأي والحكمة والحسم والاتزان وبالذات فيما يخص العلاقات الداخلية وكذا الخارجية مع الأشقاء في المملكة العربية السعودية والمنطقة ليصبح مرجعية وطنية كبيرة يعتمد عليها كثيرا ولا يمكن لأحد التغاضي عنها أو تجاوزها ، كما مثل رحمه الله عامل توازن وكابح داخلي قوي للاتجاهات السياسية المختلفة وبالتحديد للمندفعة والمتطرفة منها وكان مدافعا أساسيا وداعما لقضايا الأمة العربية والإسلامية ومنافحا عن قضاياها المصيرية وبالتحديد في الموقف من القضية الفلسطينية والعدوان على مقدراتها الأمر الذي اكسبه مكانة عربية وإسلامية رفيعة.

تشرفت كثيرا بالتعرف على هذه الشخصية المميزة منذ سنوات الحوار الوحدوي في نهاية الثمانينيات من القرن الماضي ، ورغم تشدده في بعض المواقف أثناء الحوارات الثنائية الا انه كان يعيد النظر في المواقف رغم الخلاف في وجهات النظر حول بعض الأمور ، كما تكررت لقاءاتنا بعد الوحدة في صنعاء وبالتحديد أثناء الجهود لرأب الصدع الذي نشأ بين أطراف الوحدة وأدى الى الحرب في 1994 وكان لنا معه أكثر من لقاء في منزله العامر كان آخرها بعد العودة من الخارج بمعوية الدكتور ياسين سعيد نعمان الأمين العام للحزب الاشتراكي وعدد من القيادات، وحين كنت

متواجدا في الخارج صادف ان التقيته عدد من المرات منها في فندق حياة ريجنسي في دبي حيث كان يقود وفدا من الوزراء ومن مجلس النواب والمشائخ في عام 1997 وهو في طريقه الى طهران ويومها كان يتحدث بإعجاب عما شاهدته في مدينة دبي وحين سألته عن رأيه فيما شاهد أجاب كعادته باختصار ولكن بعمق الحكيم : رأينا رجال لديهم عقول ووظفوا مالهم بالصورة الصحيحة .

وفي المرات التالية التقيته بقصر المؤتمرات بجده وكان حاضرا في كلاهما صديقه الحميم المغفور له باذن الله الوالد الشيخ عمر قاسم العيسائي الذي ربطتهم ببعض علاقة صداقة وزمالة حميمة كشيوخ حقيقيين وكتنائي متميز ومتشابه جمعهما الشأن اليمني والسعودي وكأنهما قطباه الحميمان ، وثنائيا مميذا فلما جمع الزمان مثلهما في أمور عديدة حتى ان الأقدار امتحنتهما في نفس المرض وتوفيا في نفس الوقت ، كانت هذه اللقاءات من أهم اللقاءات بالشيخين الجليلين رحمهما الله اذا تعدد الشيخ عمر قاسم العيسائي من واقع الحرص على تحسين وتلطيف الأجواء بين الفرقاء في اليمن ومن واقع محبته واحترامه للشيخ عبدالله استدعائي للقاء به حتى تقرب وجهات النظر ونزيل ما علق من شوائب بالعلاقات الداخلية فيما بيننا جراء الحرب في 1994 ، وكان لهذه اللقاءات نتائجها المثمرة التي أدت الى تصفية وتنقية الأجواء والتي كان من شأنها عودة الكثيرين ممن نزحوا الى الخارج ، وتحسين العلاقة بين احزاب اللقاء المشترك وقيادته لها وانهاء اللبس والخصومة الايدلوجية بين اطراف العمل السياسي اليمني ان في صفوف المعارضة أو مع الحزب الحاكم بقيادة فخامة الرئيس علي عبدالله صالح ، وكان من شأن ذلك تعزيز عوامل الثقة والاحتكام الى مبادئ الديمقراطية وصناديق الاقتراع التي شهدتها اليمن مؤخرا. وحقا فان الشيخ عبدالله بن حسين الاحمر رحمه الله كان شيخاً وقائداً كبيراً عاش مسيرة حافلة قد لانفيه حقه بهذه الكلمات المتواضعة ينطبق عليه القول (من عاش لغيره عاش كبيرا ومات كبيرا).

سالم صالح محمد
دبي 16-1-2008